

السخرية بآيات الله وعباده وبالنبي صلى الله عليه وسلم

وكذلك أيضا من القوادح في العقيدة: السخرية بآيات الله تعالى، وبكلامه، وبشيء من دينه، وبما أمر به؛ فإن هذا من أكبر ما يقدر في العقيدة، وأحب أن أتوسع في هذا لبعض المناسبات، فنقول: إن الله تعالى أنكر على الذين يتمسحون بشيء من دين الله أو بأسمائه أو بصفاته أو ما أشبه ذلك، وعابهم وكفرهم في آيات كثيرة، نذكر شيئا منها قال الله تعالى: { سَلَّ نَبِيُّ إِسْرَائِيلَ كَمْ آيَاتَاهُمْ مِنْ آيَةِ رَبِّهِ وَمَنْ يَدْعُ بِعَمَةِ اللَّهِ } إلى قوله: { رَبَّنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَسَخَّرْنَا مِنْ آلِهَتِهِمْ مَنْ أَوْلَىٰ مِنْهُمْ } أخبر بأنه زين لهم هذا الأمر الذي هو الدنيا، وأنهم مع ذلك يسخرون من المؤمنين، لا شك أن هذا دليل على أن السخرية من المؤمنين من صفات الكفار، فمن سخر من المؤمنين فقد دخل في هذا الوعيد والعياد بالله فيسخر من الذين آمنوا { وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } إذا كان يوم القيامة فإنهم يكونون فوقهم، وأرفع منهم. ومن الآيات أيضا قول الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَصْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ } بصحكون منهم؛ بمعنى أنهم يتمسحون من المؤمنين، ومن أعمالهم ونحو ذلك، وإذا مروا بهم يغمز بعضهم بعضا على وجه السخرية { وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ فَإِذَا هُمْ يَضْحَكُونَ } يضحكون عليهم، وينفكحون بما يقدر عليهم من السخرية بهؤلاء الضعفاء في نظريهم وما أشبه ذلك. وكذلك أيضا يقول تعالى: { وَإِذَا زُرُّوا قَالَوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمَسْأَلُونَ } يصلون المؤمنين { إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمَسْأَلُونَ } أي تائهون ضائعون، لا حظ لهم من الدنيا، ولا حظ لهم من الحياة التي نحن فيها؛ إنهم ضالون، قال الله تعالى: { قَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّاصِرَةُ لَبِئْسَ مَا آخَرْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } يعني في يوم القيامة يرفع الله تعالى المؤمنين، ويضحكون منهم، ويقولون: هؤلاء هم الأخرسون أعمالا { الَّذِينَ صَلَّ سَعْتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } هؤلاء المتمسحون صل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم على خير، وما علموا أن أعمالهم وسخرياتهم صارت وبلا عليهم؛ حيث إنهم ضحكوا من عباد الله تعالى، فجزاهم الله بأن كانوا سخرية للمؤمنين، يقولون: هذا جزء من سخر بالله تعالى وبآياته. وكذلك ذكر الله تعالى توبيخ أهل النار، الذين يدخلون النار، ويقولون: { رَبَّنَا عَلَّمْنَا سِغُوتًا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرَجْنَا مِنْهَا قَائِدًا قَائِلًا ظَالِمُونَ } يقول الله لهم: { اخْسأوا }؛ يعني رد عليهم. { اخْسأوا فيها وَلَا تَكْلُمُونَ إِنَّهُ كَانَ قَرِيبًا مِنْ عِبَادِي }؛ يعني المؤمنين حفا. { يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَأَعْرِضْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاتٍ حَتَّىٰ أَسْأَلُوكُمْ دِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ } هكذا أخبر أن المؤمنين الذين { يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَأَعْرِضْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ } أن أولئك الضالين يسخرون منهم، ويستهنئون بهم، ويضحكون من أفعالهم { فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاتٍ حَتَّىٰ أَسْأَلُوكُمْ دِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ } . هذا الضحك أورتهم أن الله تعالى يقول لهم: { اخْسأوا فيها وَلَا تَكْلُمُونَ } لما كانوا يستهنئون بعباد الله الصالحين، وقد ذكر الله تعالى أن أهل النار يسخرون من أهل الجنة ويفقدونهم، قال الله تعالى عن أهل النار: { وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كَمَا تَعْدُّهُمْ مِنَ الْآشْرَارِ }؛ يعني أين أولئك الذين كنا نعددهم من الأشرار، ونعددهم من الأشرار، ما لنا لا نراهم معنا في النار؟ ذلك لأنهم رفعهم الله تعالى، وثبتهم وأثبهم؛ فدل على أن هذا الاستهزاء وهذه السخرية من القوادح في العقيدة، وقد تصل إلى حد الكفر، الذين يسخرون بآيات الله، أو يسخرون بكلامه، أو يسخرون بعبادته، أو بعباده الصالحين، أو نحو ذلك لا شك أنهم يستحقون هذا الوعيد، أن الله يقول لهم: { اخْسأوا فيها وَلَا تَكْلُمُونَ إِنَّهُ كَانَ قَرِيبًا مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَأَعْرِضْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاتٍ حَتَّىٰ أَسْأَلُوكُمْ دِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ } . يدخل في ذلك الذين يستهنئون بالمصلين، أذكر أنني أمرت أحدهم بالصلاة، فقال: تنفعك صلاتك -نعوذ بالله-، يعني استهزاء بالمصلين واستهزاء بالصلاة، وقال: كيف تنفعك صلاتك؟ ما نفعت صلاتك، خليبنا تنفعك لا شك أن هذا يعتبر استهزاء بهذه العبادة التي فرضها الله وجعلها ركنا من أركان الإسلام، وكذلك أيضا الذين إذا راوا الذين يذهبون إلى المساجد سخروا منهم، لا شك أن هذا أيضا من الاستهزاء بالشريعة. وهكذا أيضا الذين يسخرون من المصدقين الذين يتصدقون بما رزقهم الله تعالى يكون عاقبتهم أنهم يدخلون النار -والعباد بالله- على هذا، ذكر في تفسير قول الله تعالى: { فَأَقْبَلِ بُعْثُهُمْ عَلَيَّ بَعْضُ بِنِسَاءِ لَوْنٍ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ إِنَّكَ لَكَيْفَ الْمُضْطَّعِينَ } فقرأ هذا "إنه لمن المصدقين" أنه كان يسخر منه لما رآه يتصدق بأمواله التي أعطاه الله، والتي تفضل بها عليه، فلما كان في الآخرة دخل ذلك المستهزئ الذي يقول: أنيك لمن المصدقين أو لمن المصدقين دخل النار، فيقول: { إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُضْطَّعِينَ أَيْدَا مِثًا وَكُنَّا تَرَاتِبًا وَعِظَامًا أَيْدَا لَمَدِينُونَ } ثم { قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ قَائِلٌ قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْحَجِيمِ }؛ فأطلع في النار ففرقه، وقال: هذا هو صديقي الذي يسخر مني، فيقول: { إِنَّكَ لَمِنَ الْمُضْطَّعِينَ } أو لمن المصدقين. كذلك أيضا في سبب نزول قول الله تعالى: { الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } قالوا: إن أولاء بعضنا من أولئك المستهزئين راوا إنسانا يتصدق بصدقة بمال كثير، فقالوا: هذا مراني؛ فهذا معنى { يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ } . وجاء رجل بصدقة قليلة، فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا؛ فأنزل الله: { الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } هذا جزء الذين يسخرون من المؤمنين ويلمزونهم ويعيبونهم بما هو حق أو يمدحوا به، وقد توعدهم الله تعالى على ذلك بالويل في قوله تعالى: { وَيَلْ لِكُلِّ هَمَزَةٍ لِمَرَّةٍ }؛ يعني أنه يستحق الويل. همزة؛ يعني يهزم ويلمز، ويهزل ذلك قوله تعالى: { هَمَزَ مِثْيَاءً بِتِيمِيمٍ }؛ يعني أنه يهزم؛ يعني يعيب ويخذل ويعيب ويسخر، وهذا من عيب هؤلاء، وقد ذكر في تفسير قول الله تعالى: { وَلَيْسَ سَأَلْتُمُوهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُصُّ وَتَلَعْبٌ } أن بعضنا من المنافقين قالوا: ما رأينا مثل قرابتنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب أسنا ولا أجن عند اللقاء؛ فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآيات، فجاء رجل منهم فقال: إنما كنا نتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق فأخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- يرد عليه، يقول: { يَا لَيْلَىٰ وَيَأْتِيهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَبِرُوا قَدْرَهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } . أثبت أن لهم إيمانا، وأن هذه الكلمة صارت سببا في كفرهم لما قالوا: ما رأينا مثل قرابتنا، ويريدون بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الذين جاهدوا معه، فيقولون: إنهم ليس لهم هم إلا بطونهم وفروجهم، وكذلك أيضا أنهم جناء؛ يعني ليسوا جريئين في القتال أرغب بطونا ولا أكذب أسنا ولا أجن عند اللقاء؛ فكان ذلك سببا في أن الله تعالى كفرهم، وحكم بأنهم كانوا مؤمنين فارتدوا وكفروا بعد إيمانهم. وإذا عرفنا ذلك، فنقول: إن هذا يقع كثيرا وهو من أكبر القوادح في التوحيد، وفي العقيدة؛ حيث إن كثيرا لا يتفقدون الكلمة التي يتكلمون بها، فيذل بها أحدهم ولا يشعر بأنها تبلغ ما بلغت من الإثم، ومن الكفر -والعباد بالله-؛ فكثيرا ما يحقد أحدهم فيسب الدين، ويسب العبادات، وما أشبه ذلك، وربما أيضا يضيفوا الذين إلى ذلك الذي يريدون سبته، فيقول أحدهم -والعباد بالله- لعن الله دينك، أو لعن الله الدين الذي تفتخر به، أو تقدي به، أو ما أشبه ذلك، لا شك أن هذا من أكبر القوادح في الشريعة ونحو ذلك. وهكذا أيضا الاستهزاء بكلام الله تعالى، والسخرية منه، كما ذكر عن الذين يجعلون القرآن شعرا، قال الله تعالى: { وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا يَقُولُ كَآهِنٌ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ } فالذين يجعلونه شعرا، أو كهانة، أو سحرا، أو نحو ذلك قد كذبوا الله تعالى وكذبوا نبيه -صلى الله عليه وسلم- . وهكذا أيضا من القوادح السخرية بكلام الله تعالى، واتخاذها مثلا لهوا أو لعبا أو غناء أو مطربا أو نحو ذلك، كالذين يغنون بالقرآن؛ يعني يجعلونه غناء كالفصائد التي يغنى بها، فيضربون الطبول على ذلك، لا شك أن هذا أيضا قاذح من أكبر القوادح في دين الله تعالى وفي العقيدة التي يعقد عليها قلب المؤمن؛ وذلك لأنه سخرية بكلام الله تعالى، الله أنزل هذا القرآن، وأمر بتلاوته، وأمر بتدبره وبقرائه، قال الله تعالى: { أَلَمْ نُنزِلْ إِلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ الْقُرْآنَ }؛ أي نزلنا القرآن، وأمر بتلاوته، وأمر بتدبره وبقرائه، وأمر بتلاوته؛ يعني قراءته، وأمر باتباعه بقوله: { اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ } اتبعوه لعلمكم تهتدون، أمرنا بأن نقرأه وبأن نتدبره وبأن نتبعه، فمن جعله شعرا أو غناء فقد جعله محل سخرية واستهزاء؛ فيكون بذلك ممن قدح في دينه، وقدح في عقيدته، وتعدى حده. وكذلك أيضا من سخر بشيء من آيات الله تعالى، أو بالنبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر عن بعض الكتاب أنه كتب مرة يطعن في النبي -صلى الله عليه وسلم- ويقول: إنهم بدوي، إنه كان يرعى الغنم، وأنه عاش في عهد ليس فيه تقدم، وليس فيه كذا وكذا، ولا شك أن هذا طعن في الدين؛ لأن هذا الدين جاءنا من قبل هذا النبي الكريم؛ فمن طعن فيه بأنه جاهل، أو بأنه بدوي لا يعرف شيئا، أو بأن هذا الذي جاء به من محادثة فكرة، أو أنه مما خيل إليه، أو أنه يريد بذلك أن يكون له شهرة وأتباع ونحو ذلك؛ يعتبر قد كذب على الله، وكذب النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي جاء بهذا الدين الشرعي، وكذب القرآن، وكذب الشرع كله، لا شك أن هذا أيضا قاذح في الدين، قاذح في العقيدة، وهو ما ذكر في هذه الآية: { قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخَرُوا مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }؛ يعني الاستهزاء بالله تعالى الاستهزاء بأسمائه وصفاته، وكذلك الاستهزاء بكلامه والتنقص له؛ داخل أيضا في القوادح في الدين. وكذلك أيضا الاستهزاء بالقرآن، كما ذكر الله تعالى عن الكفار الذين قالوا: { إِنَّ هَذَا إِلَّا فُكٌّ أَفْتَرَاهُ وَأَعَانَتْ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخِزُونَ } والذين قالوا: { إِنَّمَا تَعْلَمُهُ سَخِرَ } هؤلاء بلا شك أتوا بما يقدر في عقيدتهم وفي دينهم؛ فلأجل ذلك جعل الله مقاتلتهم مقالة كفرية، وكذلك أيضا هؤلاء الذين قدحوا في النبي -صلى الله عليه وسلم- وقالوا: إنه جاهل، أو إنه بدوي أو ما أشبه ذلك. فتذكر قبل نحو أربعين سنة أو قريبا منها أن هناك صحيفة يهودية سخرت بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وصورت صورته بصورة ديك، وقالوا: تحت هذه الصورة ده محمد أفندي المتجوز تسع؛ يعني على وجه السخرية أنه ليس له هم إلا بطنه وفرجه؛ ومع الأسف فإن هذه الصورة نقلتها أيضا صحيفة من صحف العرب، وإن لم يكونوا مسلمين؛ يعني حقا إلا مجرد التسمية فنشروها على أنها واقعية، لا شك أن هذا يعتبر كفرا وردة عن الإسلام -والعباد بالله- إذا سخروا بالنبي -صلى الله عليه وسلم- فقد سخروا بالقرآن، وقد سخروا بالشريعة التي جاء بها، وقد سخروا بالتوحيد، وقد سخروا بالإسلام؛ فيكون ذلك تنقضا لهذا الدين كله، فأى قاذح أكبر من هذا القاذح الذي هو يقدر في دين الله تعالى، ويقدر في التوحيد، ويقدر في الإسلام كله؟ وكذلك أيضا بهدف كثيرا من السخرية والاستهزاء بآيات الله تعالى؛ الاستهزاء بشيء من أوامره ونواهيها، أو من أخباره؛ لأن الإيمان الكامل هو الإيمان بما أخبر الله تعالى به من الأمور الغيبية، فمن كذب بعذاب القبر مع ما ورد فيه من الأدلة فقد قدح في معتقده، ولو كان هذا من الأمور الغيبية يجب أن يؤمن به الإنسان، أن يصدق بأنه حق، كما وردت أدلته كثيرة وإن كنا لا نشاهده. وكذلك أيضا من قدح في كتب الله المنزلة التي أنزلها على أنبيائه، ولم يؤمن بها حق الإيمان قدح ذلك أيضا في عقيدته، وكذلك من قدح أو أنكر شيئا من كتب الله المنزلة على أنبيائه، أو استهزأ بأحد من الرسل الذين أرسلهم إلى أممهم، والذين أنزل عليهم شرائعهم من كذب أحدا منهم فقد كذبهم جميعا، والدليل قول الله تعالى: { كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ }؛ مع أنهم ما كذبوا إلا نوح فذكر أنهم كذبوا المرسلين، وكذلك بقية الأنبياء من كذب واحدا فقد كذب بالجميع.